«العجب ... أسبابه .. و علاجه»

★ العجُب له وجهان : وجه حسن ووجه قبيح ومن أصعب أنواع العجُب هو «الاعجاب بالرأى والجمال والقوة البدنية .. واعجاب النعمة» !!

الكلام فى العجُب أو أعجاب المرء فى نفسه .. ولا شك أن هذا فى أصله أيضا «جبلّى» وليس أمرا شاذا أن يحب الانسان نفسه ، فاذا أحب نفسه أحب ما يصدر عن تلك النفس من الافعال والآراء والاقوال ولولا حب الانسان لنفسه أيضاً لما أنبرى فى الدفع عنها - لما أنبرى أن يدفع عنها فى المحيكات .. ولولا حب الانسان لنفسه لما سعى لجلب المصالح اليها - لكن اذا زاد حب الانسان لنفسه اكثر من الحد المعقول والطبيعى فأن هذا الحب ينقلب الى عكسه فيجلب لها الضرر بدعوى أنها المصلحة ويبعد عنها المصلحة بدعوى ان فى ذلك ضررها ..

«الدرس السابع عشر : لفضيلة الشيخ سليمان المدني»

معنى العجب

وهذا معنى العجب والعجب تارة يكون على الخالق «سبحانه وتعالى» لأن يدل على الله بايمانه وعبادته وطبعا هذا اشد أنواع العجب ابعادا عن الدين .. والحق وتارة يأتيه العجب بالنعمة التى تكون عنده - يعجب بنعم الله «سبحانه وتعالى» عليه واعجاب المرء بما عنده من النعمة له وجهان :

وجه حسن ووجه قبيح

أن يعجب بها لأنها من الله «سبحانه وتعالى» فهذا أمر حسن او يعجب بها لانها تدل فى نظره على عناية الله «سبحانه وتعالى» به وتكريمه اياه فهذا أيضا وجه حسن اما اعجاب المرء بالنعمة التى تكون عنده فى أضافتها الى نفسه بعدم النظر الى اضافتها الحقيقية الى الله «سبحانه وتعالى» فيستصغر من لم تكن عنده تلك النعمة طبعا - هذا وجه قبيح فى مجال الاعجاب بالنعمة فأن الله سبحانه وتعالى قد يعطى الانسان النعمة لا من باب اكرامه أو عنايته وانما ليمد له فى طغيانه ليملى له حتى يزداد اثما فى معصيته .

[انما نملى لهم ليزدادوا اثما] فاعجاب المرء بالنعمة مع قطعه لاضافتها عن المنعم واضافتها الى نفسه هذا فيه قبح وفيه غفلة من ان الذى أنعمها عليه قادر على أن يسلبها أياه .. ولا شك ان العجب من أسبابه «التكبر» وعلاجه فى حاله تويه على الناس او على الله «سبحانه وتعالى» أن يحارب التكبر او الكبر من نفسه بالاسباب التى أشرنا اليها .

مثال اعجاب المرء على الله سبحانه وتعالى : انه اذا ابتلاه الله بشىء - يقول فى نفسه ما الذى فعلت حتى أستحق هذا الابتلاء ؟

الم أنفذ أوامر الله «سبحانه وتعالى» ؟

الم أطع الله ؟

الم امتنع عن معاصيه ، فلماذا هذا البلاء الذى يصيبنى ؟

هذا اذلال بالعبادة وبالطاعة على الله «سبحانه وتعالى» مع أن نفس التوفيق للطاعة .. وعين التوفيق للعبادة أيضا هو نعمة من الله «سبحانه وتعالى» فانه لو حجب عنه توفيقه لما صار من المطيعين .

وان العبد لينام ويجلس الصباح نادما على نومه لائما لنفسه انه لم يقم الليل أحب عند الله ممن اقام الليل وهو معجب بعمله .

وفى الحديث القدسى **[ان العبد ليصلى الىّ فى جوف الليل فالقى عليه النعاس رحمة به فيجلس الصباح طاليا لنفسه فارحمه]** بمعنى انه اذا جلس لائما لنفسه على التقصير أحب الى الله من أن يفرح بالعمل الذى عمله لأنه اذا فرح بالعمل الذى عمله واعجبه فقد أحبب عن نفسه ذلك العمل وصار هباء منثورا .. وفى الحديث عن النبى «صلى الله عليه وآله» **«لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر/ العجُب/ العجُب»** لأن العجب من المؤمن أشد عليه من الذنب ... وفى الحديث عن الباقر «عليه السلام» **«انه دخل المسجد عابد وفاسق فخرج الفاسق من المسجد صديقا .. وخرج العابد من المسجد فاسقا» !!**

قالوا : كيف يا إبن رسول الله ؟

قال : دخل العابد المسجد مدلا بعبادته على ربه فاحبط أعماله ! ودخل الفاسق المسجد فندم على فسقه واستغفر ربه وتاب فغفر الله له ما تقدم من ذنبه ! فهذا يندمه وبتصغاره لله «سبحانه وتعالى» صار صديقا .. وذلك العابد باذلاله بالعبادة على الله صار كافرا «أحبط أعماله» ..

ولا تحبط الاعمال الا من الكافر .

وفى الحديث عن الصادق «عليه السلام» أن عالما سأل عابدا :

ما هي صلاتك ؟!

فقال : أمثلي يُسأل بهذا السؤال وانا اقوم الليل ولا ابتر عن عبادة ربي ؟!

فقال له : وما هو بكاؤك ؟

قال : انى أبكى حتى تجرى دموعى !

قال له : ضحكك ونومك خير لك من صلاتك وبكائك !؟

فهذا الاذلال أن مثله لا يُسال عن صلاته ولا عن بكائه دليل على اعجابه بعبادته فهو لا يرفع له منها شيء !!

وفى الحديث أن «ايوب» على نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام - قال : «الهى ما فرطت فى شيء من أمرك» وبما معنى الحديث فعلام : أستحققت هذا البلاء ؟

فاجيب : بعشرين الف صوت من غمامة أيوب.. أيوب .. أيوب أعليت ؟!

فتذكر وقال : كل شيء منك يارب ..

أى كل شيء من التوفيق للعبادة هى نعمة منك ليس لى فيها يد ولولا توفيقك لما توصلت .. هذا معنى كل شيء منك يارب .. وعن النبى «ص» **«أن من أعتمد على عمله فهو هالك !!**

قالوا : حتى أنت يا رسول الله ؟

قال «ص» : حتى انا لو لم يتغمدنى الله برحمته لكنت هالكا !!

فاذن لا يوجب ان يكون هناك اعتمادا على العمل حتى يعجب الانسان بعمله .. وفى الحديث القدسى : **«ما نصرت عبدا للحساب الا هلك» لانه مهما يأتي باعمال فقليل - لا تساوى كل تلك الاعمال نفسا واحدا من انفاسه - فكيف يعتمد على عمله او كيف يغتر بعمله ؟**

العجب بالذات :

وهل التوفيق للطاعة الا نعمة من الله .. وهل ان الحمد على التوفيق الا نعمة أخرى ولو اراد أن يحمد الله على أن يوفقه لحمده فهى أيضا نعمة وهكذا تتسلسل .. فبأى شيء يذل الانسان على ربه باعماله وعبادته ؟

تارة يكون العجب باشياء أيضا خارجة عن الذات - يصيبه العجب بامواله او بجماله او بقوته .. وبالنسبة للجمال والقوة فهذه ليست أمورا اختيارية ! لم يوجدها هو بنفسه حتى يعجب بها وحتى يتيه ولا يشقى دائما الا من اعجب بجماله وماله فانه يسقط .. وهل يحبس من الطير الا البليل لحسن صوته .. وهل يصاب اكثر ما يصاب الانسان بالرزايا الا من جهة جماله !! مع أن الجمال او حسن الصوت او القوة البدنية ليست من الامور الاختيارية التى له فيها دخل .

على اى حال ان هذه امور أيضا كلها سهلة وقابلة للعلاج اذا فكر الانسان فيها : اذا فكر فى المال لا بد أن يدرك انه زائل - فكر فى الجمال يدرك انه ليس باختياره - فكر فى القوة يدرك ان الله فوقه - كل نعمة يفكر فيها عليه ان يتذكر ان منعمها قادر على أن يسلبها منه كل انسان يستصغره بسبب فقد نعمة من النعم التي عنده عليه ان يتذكر ان الله «سبحانه وتعالى» قادر أن يؤتى هذا الذى يستصغره أضعاف ما عنده من النعم ويحيده اليه بان يسلب ما عنده من النعم فبأى شيء يتيه او يذل او يعجب .

الاعجاب بالرأى :

بقى هناك نوع من الاعجاب لا يكاد يخلو منه فرد وهو «الاعجاب بالرأى» .. والاعجاب بالرأى دائما يصيب الناس سواء أن كانوا من عامة الناس او العلماء من علماء سائر العلوم المختلفة او من علوم الدين وهذا أصعب انواع العجُب واشدها بعدا عن العلاج !

لماذا ؟

لان سببه الجهل المركب اما الجهل البسيط الذى يلتفت اليه فى حينه فانه يعالج بالمعرفة - يعنى - لو كان انسان يدرك أننى لا أعرف هذا العلم فازالة هذا الجهل سهلة «توجه لدراسة ذلك العلم - ادرك مثلا اننى لا اعرف أحكام الشكوك - طبعا اذا عندى هذا الادراك اتوجه الى العلماء واسألهم عن احكام الشكوك لكن اذا كنت اعتقد فى نفسى اننى اعرف احكام الشكوك بطبيعة الحال لا يمكن فى هذه الحالة أن أتعلم احكام الشكوك !!

لا أعرف علم الكيمياء من السهل ان ازيل هذا الجهل - أتوجه الى اساتذة هذا العلم وادرسه .. اتوجه بالمسائل التى فى هذا العلم الى المتخصصين فى هذا العلم واسألهم فاذن العجب بالرأى هو اشد انواع العجب صعوبة فى العلاج .. وهذا يصيب العلماء كما يصيب عامة الناس كما ان العامى مثلا يعتقد فى نفسه أنه يعرف حكم المسألة الفلانية فتحبط همته عن الذهاب الى العلماء ومعرفة حكمها على الحقيقة كذلك العالم قد يصيبه العجُب برأي يتوصل اليه فيظنه هو الحق ويستزرى ويستصغر من يخالفه فى الرأى بحجة انه لم يتمكن ان يفهم هذا الشيء مع وضوحه وبساطته «طبعا هذا عجُب لا يمكن ازالته» وقد لا يكون ما يعتقده من الرأى صوابا - ولكن - كيف يمكن ازالته وهو يعتقد أنه المصيب وان غيره المخطىء ؟

علاج العجب :

ليس هناك الا علاج واحد : أن يلتفت هو بنفسه الى أن ما لم يكن عليه شاهد من كتاب الله «سبحانه وتعالى» وسنة رسوله «ص» فهو باطل فما لم يلتفت الى مثل ذلك لا يمكن ان يعالج ما أصابه من عجب فى نفسه .. وبطبيعة الحال كما قلنا ان العجب بالرأى سواء عند الانسان العامى او عند متخصص بعلم من العلوم لا يكاد يعالج الا أن يلتفت الانسان بذاته - يعنى - لا يمكن تنبيهه !

يمكنك ان تنبه الغافل !

يمكنك ان تنبه من يدرك انه جاهل ..

اما الانسان القاطع / الجازم بما عنده الراضى برايه .. والراضى عن نفسه بهذا الرأى وان كان هذا الرأى هوى متبعا لا يمكن تنبيهه .. ولا يمكن ان يقتنع باحد يقول له انك مخطىء لانه لا يرى الخطأ امامه ولذلك كثر الذم من النبى «ص» فى اواخر هذه الامة وقال : **«انه تكثر عندها المذاهب .. وتكثر عندها الآراء... وانها تكون الى خمسة وسبعين فرقة منها فرقة واحدة ناجية الى غير ذلك» - ويقول امير المؤمنين «ع» أن اول الفتن أحكام تبتدع وأحكام تصطنع واراء تبتدع يبتدع فيها رجال رجالا» انما ذلك لان هذه الاحكام التى تصطنع والآراء التى تبتدع اصحابها لا يمكن ان يلتفتوا الى موضع خطاها فان الجازم بالشيء لا يكاد يلتفت الى غيره كما ان المشركين فى زمان نبينا «ص» امتشقوا الحسام وحاربوا الدين والاسلام والنبى «ص» وليسوا جميعا على نحو التعصب - لا - كثيرا منهم على نحو القطع بصحة ما هم عليه وذلك لان من قطع بشيء وجزم به لا يلتفت الى خلافه او الى مناقضه مطلقا ..**

وهذا معنى العجُب بالراى فى الحقيقة .. والذي ينبغى ان لا يتحلى به مفكر وعالم فإنه مهما كان الانسان من قوة العقل ومن ذكاء النفس فانه غير معصوم ان يقع فى الخطأ .. وعليه ان يراجع الانسان سواء كان من العامة او متخصصا فى علم من العلوم - عليه ان يراجع نفسه فى كل ما يتوصل اليه فى مجال اختصاصه آنا فان ويوما فيوما .. وان لا تاخذه العصبية فى ان يترك ما ثبت له بطلانه الى ما تثبت له صحته لأن بعض الناس قد تنجلى له الحقيقة ومع ذلك يصر على ما هو عليه - لماذا ؟

حتى لا يقال انه كان بالامس مخطا او انه كان بالامس جاهلا .. وهذا أيضا من ادواء العجب - يعنى - نتيجة من نتائج العجب ان يبقى الانسان مصرا حتى لا يقال انه أخطأ - يصر على خطأ قد تبين له ! فيكون شرا ممن بقى على خطأ يجزم هو بصحته وان كان ذلك الشخص أيضا جاهلا مركبا الا أن هذا مصر على العناد وان لم يكن جاهلا بعد ان كشف له خطأ نفسه وان الحق مع زيد لكن إصراره على البقاء على الخطأ دون الانصياع الى الصواب الذى عند غيره - طبعا اشد ممن لم ينكشف له الخطأ .. واشد قبحا !

فلا ينبغى للانسان ان يتحلى بالعجُب او يصر على نتائج ذلك العجب لانه من المهلكات ولان الله «سبحانه وتعالى» يحيط الاعمال بالعجُبْ والاذلال به كما بينا ذلك !!